

فجرُ القُدَى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

نوح

٢

دار القلم العربي

للأطفال

من قصص الأنبياء

للفغار واليافعين

- ١- آدم عليه السلام
- ٢- نوح عليه السلام
- ٣- هود عليه السلام
- ٤- صالح عليه السلام
- ٥- إبراهيم عليه السلام
- ٦- إسماعيل عليه السلام
- ٧- يوسف عليه السلام
- ٨- شعيب عليه السلام
- ٩- أيوب عليه السلام
- ١٠- يونس عليه السلام
- ١١- موسى عليه السلام
- ١٢- داود عليه السلام
- ١٣- سليمان عليه السلام
- ١٤- زكريا ويحيى عليهما السلام
- ١٥- عيسى عليه السلام
- ١٦- محمد صلى الله عليه وسلم

من قصص الانبياء ، قصصٌ أُثِّرت وزيدت إشراقاً بذكر أخبار رُسل الرحمة والإنسانية ، رُسل المحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فجرَ الهدى والإيمان ، صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر ، واقتلعوا منها الأوهام والباطيل ودعوا إلى عبادة إلهٍ واحدٍ لا شريك له ، بدءاً من آدم عليه السلام وإنتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمه من رُسل وأنبياء .
قال الله تعالى : (وَكَلَّا نَقْصُ عَزَائِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا ثَبَّتْ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)

الناشر

فَجَدُّ الْهَدَى وَالْإِيمَانِ

يُوسُفُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ
الْعَبْدُ الشَّكُورُ

من قصص
الأنبياء
عليهم السلام



مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني

إعداد وترتيب : زهير مصطفى

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم بحلب ولا يجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر



منشورات

دار القلم العربي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ - 2001 م

عنوان الدار:

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي - شارع هدى الشعراوي
ص.ب: 78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 21 963+

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وِلَادَةُ نُوحٍ

هُوَ نُوحُ بْنُ لَامَكَ، وُلِدَ بَعْدَ وَفَاةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعَشْرَةَ قُرُونٍ، وَالْقَرْنُ قَدْ يَعْنِي مِئَةَ عَامٍ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَقَدْ يَعْنِي جِيلًا مِنَ النَّاسِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ (١).

وَعَلَى هَذَا قَدْ يَكُونُ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَلُوفٌ مِنَ السِّنِينَ.

(١) سورة: الإسراء (١٧).

نُوحُ الرَّسُولُ

بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نُوحًا^(١) عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا عَبَدَ النَّاسُ الْأَصْنَامَ وَالطَّوَاعِثَ وَوَلَجُوا^(٢) فِي الضَّلَالَةِ وَالْكُفْرِ، وَطَغَوْا وَبَغَوْا فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلَ رَسُولٍ بُعِثَ إِلَى الْأَرْضِ، لِيَرُدَّعَهُمْ عَنْ كُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ وَيَدْعُوَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. الَّذِي قَالَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ^(٣)﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ^(٤).

وَقَدْ وَرَدَتْ قِصَّةُ نُوحٍ مَعَ الَّذِينَ كَانُوا يُسَمَّوْنَ: بَنِي رَاسِبَ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِذْ وَرَدَتْ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَيُونُسَ وَهُودٍ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالشُّعَرَاءِ وَالْعَنْكَبُوتِ وَالصَّافَّاتِ وَالْقَمَرِ، كَمَا أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ فِيهِ سُورَةً كَامِلَةً.

(١) يُصرف الاسم الثلاثي ساكن الوسط.

(٢) ولج: دخل.

(٣) سورة: الأعراف (٥٩).

نُوحٌ مع قومه

وَمَا إِنْ بَعَثَ اللَّهُ نُوحًا رَسُولًا لِيَهْدِيَ قَوْمَهُ وَيُرْشِدَهُمْ إِلَى
الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي
ذَكَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا﴾^(١).

حَتَّى وَقَفَ زُعَمَاءُ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ بِالْمِرْصَادِ لِنُوحٍ وَلَمَّا أَتَى
بِهِ، فَحَارَبُوهُ وَأَذَوْهُ وَرَفَضُوا أَنْ يَدْعُوا عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ
الَّتِي لَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْفَعُ. وَكَانَ (وَدٌّ وَسُوَاعٌ وَيَغُوثُ وَيَعُوقُ وَنَسْرٌ)
رِجَالًا صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا مَاتُوا وَسُوسَ الشَّيْطَانُ إِلَى
قَوْمِهِ، أَنْ أَقِيمُوا لَهُؤُلَاءِ أَنْصَابًا^(٢)، وَسَمَّوْهَا بِأَسْمَائِهِمْ وَمِنْ ثَمَّ
عَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِتَنْتَقِلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْعَرَبِ
وَكَانَ لِكُلِّ صَنَمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ، طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ يَعْبُدُونَهُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(١) سورة نوح الآية: ٢٣.

(٢) الأنصاب: الأصنام.

وَلَمْ يَنْجَحْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي انْقَاذِهِمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ ضَلَالٍ وَطُغْيَانٍ رَغِمَ دَعْوَتُهُ لَهُمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَفِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، وَبِالتَّرْغِيبِ تَارَةً وَبِالتَّرْهِيْبِ أُخْرَى بَلْ زَادَهُمْ ذَلِكَ كُفْرًا وَضَلَالًا وَاسْتَمَرُّوا فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَحَاوَلُوا إِيْذَاءَهُ وَالْإِسَاءَةَ إِلَيْهِ وَخَاصَّةً السَّادَةَ الزُّعَمَاءُ مِنْهُمْ الَّذِينَ قَالُوا لَهُ:

﴿ قَالَ الْمَلَأُ^(١) مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٢) فَأَجَابَهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يَا قَوْمِ، أَنَا لَسْتُ كَمَا تَزْعُمُونَ، مَا أَنَا إِلَّا رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أُرْسِلَنِي بِالْهُدَى وَالْيَقِينِ، لَأَنْتَشِلَكُمْ مِنْ مُسْتَنْقَعِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ إِلَى حَيْثُ الثُّورُ وَالْهُدَايَةُ:

﴿ أَبْلَغْكُمْ رَسُولَاتِي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٣).

وَلَكِنَّ قَوْمَهُ كَابَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ نُوحٌ رَسُولًا فَهُوَ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ، يَتَكَلَّمُ كَمَا يَتَكَلَّمُونَ، وَيَأْكُلُ كَمَا يَأْكُلُونَ، وَاتَّهَمُوا مَنْ اتَّبَعَهُ بِالْجُنُونِ وَخِفَةِ الْعَقْلِ، وَلَوْلَا أَنَّهُمْ فُقَرَاءُ ضِعْفَاءُ لَمَا اتَّبَعُوهُ: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ

(١) الْمَلَأُ: السَّادَةُ.

(٢) سورة الأعراف (٦٠).

(٣) سورة: الأعراف (٦٢).

إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَزَّلَكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ الرَّأْيِ وَمَا
نَرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿١﴾ .

فَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا نُوحًا، آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ وَلَا
رَوِيَّةٍ نَعَمْ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ جَاءَ بِالْحَقِّ أَبْلَجٌ ^(٢) ظَاهِرًا وَاضِحًا،
وَالْحَقُّ الظَّاهِرُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى كَثِيرٍ تَأْمُلٍ وَتَفَكِيرٍ .

وَهَكَذَا كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ
اتَّبَعَهُ، فَقَدْ آمَنُوا بِهِ وَبِمَا جَاءَ مِنَ الْحَقِّ الْوَاضِحِ دُونَ تَرَدُّدٍ أَوْ
كَثِيرِ تَفَكِيرٍ وَهَاهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ فِي أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ: (مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ لَهُ كَبُورَةٌ ^(٣)) غَيْرَ أَبِي
بَكْرٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَلَعَثْ .

وَلَمْ يَتَأَسَّ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلْ صَبَرَ عَلَى أذى قَوْمِهِ
وَأِنْكَارِهِمْ لِمَا جَاءَ بِهِ وَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمُ لَا أُرِيدُ عَلَى مَا أَدْعُوكُمْ
إِلَيْهِ حَمْدًا وَلَا شُكُورًا، وَلَا أُرِيدُ مَالًا أَوْ جَاهًا، فَهَذَا لَنْ أَطْلُبَهُ
إِلَّا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي ثَوَابُهُ خَيْرٌ لِي مِمَّا تُعْطُونَنِي، لَا أُرِيدُ
سِوَى أَنْ تُؤْمِنُوا بِمَا يَنْفَعُكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ:

(١) سورة هود (٢٧) .

(٢) أَبْلَجٌ: وَاضِحًا .

(٣) كَبُورَةٌ: زَلَّةٌ وَهَنًا وَفَقْرٌ تَأْمُلٌ .

﴿وَيَقَوْمٌ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِنَ آجِرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾^(١).

وَطَلَبَ قَوْمٌ نُوحٍ مِنْهُ كَمَا طَلَبَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، مِنْهُ أَنْ يَطْرُدَ هَؤُلَاءِ الضُّعَفَاءَ الْفُقَرَاءَ، وَأَنْ يُبْعِدَهُمْ عَنْهُ، حَتَّى يُؤْمِنُوا بِهِ، فَهُمْ سَادَةُ الْقَوْمِ وَزَعَمَائُهُمْ وَأَغْنِيَاؤُهُمْ، فَكَيْفَ يُمَكِّنُ لَهُمْ أَنْ يُجَالِسُوا هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءَ الضُّعَفَاءَ؟ وَيُضَيِّحُوا فِي الْإِيمَانِ لَأَفَرَقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءَ، لَكِنَّ نُوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَفَضَ طَلَبَهُمْ، مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ شَرْطَهُمْ هَذَا.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلِكِنِّي أَرْىكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾^(٢).

وَأَمْتَدَّ الزَّمَنُ وَطَالَ النَّقَاشُ وَالْجِدَالُ، وَمَرَّتْ أَجْيَالٌ وَأَجْيَالٌ، وَرَغِمَ الْمُدَّةُ الطَّوِيلَةُ الَّتِي عَاشَهَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَدْعُو بِهَا قَوْمُهُ وَيُحَاوِلُ إِرْشَادَهُمْ وَهِدَايَتَهُمْ إِلَّا أَنَّ عَدَدَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ كَانَ قَلِيلًا جَدًّا. يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٣).

(١) سورة: هود(٢٩).

(٢) سورة: هود(٢٩).

(٣) سورة: العنكبوت (١٤).

فَكَانَ الْآبُ إِذَا بَلَغَ وَلَدُهُ سِنَّ الرُّشْدِ يُوصِيهِ أَلَّا يُؤْمِنَ بِنُوحٍ
مَا عَاشَ فَإِذَا تَزَوَّجَ الْوَلَدُ، وَصَارَ لَهُ أَوْلَادٌ أَوْصَاهُمْ بِدَوْرِهِ، أَلَّا
يُؤْمِنُوا بِنُوحٍ مَا عَاشُوا.

الطوفان

يَسِّرُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ صَلَاحِ قَوْمِهِ وَفَلَاحِهِمْ ، وَأَيَقِنَ أَنَّهُ
لَا خَيْرَ فِيهِمْ بَعْدَ أَنْ أَوْغَلُوا^(١) فِي كُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ، وَأَنَّهُ لَنْ
يُؤْمِنَ بِهِ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ.

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا
كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٢).

وَعِنْدَمَا اشْتَدَّ أَذَى قَوْمِ نُوحٍ لَهُ، وَاسْتَمَرُّوا فِي تَكْذِيبِهِ دَعَا
عَلَيْهِمْ، فَلَبَّى اللَّهُ دَعْوَتَهُ وَأَجَابَهُ إِلَى طَلَبِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ
نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾^(٣) وَيَخَيِّنُهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ^(٣).

(١) أَوْغَلُوا: تَمَادَوْا.

(٢) سورة: هود (٣٦).

(٣) سورة: الصافات (٧٥، ٧٦).

وَكَانَ نُوحٌ قَدْ دَعَا عَلَيْهِمْ بِأَنْ يُهْلِكَهُمْ اللَّهُ وَلَا يُبْقِيَ مِنْهُمْ أَحَدًا:

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَظْلُمُونَ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (١).

وَعِنْدَيْدِ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نُوحًا أَنْ يَصْنَعَ الْفُلْكَ (٢): ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ (٣).

وَلَكِنَّ قَوْمَ نُوحٍ، عِنْدَمَا رَأَوْهُ يَصْنَعُ السَّفِينَةَ الْعَظِيمَةَ سَخِرُوا مِنْهُ وَأَخَذُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، فَكَيْفَ سَتَجِرِي هَذِهِ السَّفِينَةُ الضَّخْمَةُ؟ وَمَنْ سَيَقْدُرُ أَنْ يَدْفَعَهَا وَعَلَى أَيِّ مَاءٍ سَتَعُومُ؟.

﴿وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ (٤).

وَعِنْدَمَا أَتَمَّ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَاءَ السَّفِينَةِ الضَّخْمَةِ، أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَحْمِلَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ،

(١) سورة نوح (٢٦، ٢٧). لا تذر: لا تبقي.

(٢) الفلك: السفينة العظيمة.

(٣) سورة: هود (٣٧).

(٤) سورة: هود (٣٨).

وَبَعْضَ الْمَأْكُولَاتِ لِكَيْ تَبْقَى عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ كَمَا أَمَرَهُ أَنْ يَحْمِلَ
مَعَهُ أَهْلَهُ، إِلَّا مَنْ كَانَ كَافِرًا، فَأُولَئِكَ قَدْ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ،
كَمَا أَمَرَهُ إِلَّا يَخْزَنَ عَلَى مَا سَيَحِلُّ بِأَهْلِهِ الْكَافِرِينَ مِنَ الْعَذَابِ
الْعَظِيمِ وَالْأَلَّ يُرَاجِعُهُ فِيهِمْ:

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ^(١) فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ
وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ
مُغْرَقُونَ﴾^(٢).

وَانْهَمَرَتِ الْأَمْطَارُ الْغَزِيرَةُ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَهَا أَفْوَاهُ
الْقُرْبِ، وَنَبَعَتِ الْأَرْضُ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا، وَتَلَاطَمَتِ الْأَمْوَاجُ
وَتَعَالَتْ وَتَعَاظَمَتْ حَتَّى جَاءَتِ الْمَاءُ عَلَى السَّهْلِ وَالْجَبَلِ. يَقُولُ
اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ^(١١) وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى
أَمْرِ قُدْرٍ^(١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ^(٣).

(١) التنور: المراد به: وجه الأرض تنبع بالماء حتى تنبع التناير.

(٢) سورة المؤمنون (٢٧).

(٣) سورة: القمر (١١، ١٢، ١٣) دُسر: المسامير.

نَجَاةُ نُوحٍ وَالْمُؤْمِنِينَ

وَنَجَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَحْمَدَهُ عَلَى مَا هَيَّأَ لَهُ مِنْ هَذِهِ السَّفِينَةِ:

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ^(١) كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ^(٢) مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٦﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ^(٣) ﴿١٧﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٨﴾﴾^(٤).

وَسَارَتِ السَّفِينَةُ بِهِمْ تَتَلَاطَمُهَا الْأَمْوَاجُ الْهَائِجَةُ، وَتَتَقَاذَفُهَا هُنَا وَهُنَاكَ وَكَانَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُو رَبَّهُ وَيَحْمَدُهُ وَيَشْكُرُهُ وَيَقُولُ مُخَاطِبًا الْمُؤْمِنِينَ:

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسَاهَا^٥ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ^(٥)﴾.

(١) الأزواج: الأصناف.

(٢) الأنعام: الحيوانات.

(٣) مقرنين: مطيقين.

(٤) سورة الزخرف الآيات (١٢، ١٣، ١٤). منقلبون: منصرفون.

(٥) سورة: هود (٤١).

وَتَذَكَّرْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنَهُ وَأَتَى لَهُ أَنْ يَنْسَاهُ، وَكَيْفَ يَنْسَاهُ،
 وَهُوَ الْأَبُ الرَّحِيمُ الْعَطُوفُ، لَكِنَّ «يَا» بَنَ نُوحٍ كَانَ مِنَ
 الْكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ، فَقَدْ خَالَفَ أَبَاهُ وَعَقَّه، وَلَمْ يَمْتَثِلْ لِأَوَامِرِهِ،
 فَلَمْ يَرْكَبِ السَّفِينَةَ مَعَ أَبِيهِ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ سَيَنْجُو مِنَ الْغَرَقِ إِنَّهُ هُوَ
 صَعِدَ قِمَّةَ الْجَبَلِ. يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ
 يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأُوذَىٰ إِلَىٰ جُبَلٍ
 يَعِصْمُنِي ^(١) مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ
 بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٢﴾﴾.

وَغَرِقَ النَّاسُ الْكَافِرَةُ، وَهَلَكُوا وَلَمْ يَبْقَ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ
 زَنْدِيقٌ وَاحِدٌ مِمَّنْ عَبْدُوا غَيْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عِنْدَئِذٍ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ
 وَجَلَّ السَّمَاءَ أَنْ تَقِفَ عَنْ سَكْبِ الْمَطَرِ، وَالْيَنَابِيعَ أَنْ تَتَوَقَّفَ
 وَتَبْلَعَ مَاءَهَا:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْأَلُ أَقْلِي وَغِيضَ ^(٣) الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ

(١) يعصمني: يحميني وينقذني.

(٢) سورة: هود (٤٢، ٤٣).

(٣) غيض الماء: نقص.

وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ^(١) وَقِيلَ بَعْدَ لِقَايَةِ الظَّالِمِينَ ﴿٢﴾ .

ثُمَّ تَسَاءَلَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسَاءَلَةً اسْتِغْلَامٍ وَاسْتِضَاحٍ وَقَالَ مُخَاطِبًا رَبَّهُ: - إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ تُنْقِذَ أَهْلِي، وَإِنِّي مِنْ أَهْلِي وَقَدْ غَرِقَ:

فَأَجَابَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: بِأَنَّ «يَوْمَ» لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، فَهُوَ مِمَّنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ أَيْ أَنَّهُ سَيَغْرُقُ بِضَلَالِهِ وَكُفْرِهِ، وَلِهَذَا جَرَّئُهُ الْأَقْدَارُ أَنْ يَنْحَرِفَ عَنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ ﴿٣﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ أَصْنَعْ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣﴾ .

وَعِنْدَمَا تَوَقَّفَت السَّمَاءُ وَيَبَسَّتِ الْأَرْضُ بَعْدَ أَنْ نَضَبَ الْمَاءُ وَصَارَ مُمَكِنًا الْعَيْشُ عَلَيْهَا وَالِاسْتِقْرَارُ فَوْقَهَا وَالسَّعْيُ فِي مَنَاقِبِهَا، أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَهْبِطَ مِنَ السَّفِينَةِ سَالِمًا مُبَارَكًا وَيَعِيشَ عَلَى الْأَرْضِ مَعَ أَوْلَادِهِ سَامَ أَبِي الْعَرَبِ وَحَامَ أَبِي الْحَبَشِ وَيَافِثَ أَبِي الرُّومِ.

(١) الجودي: جبل في منطقة الجزيرة قرب الموصل.

(٢) سورة: هود الآية (٤٤).

(٣) سورة: المؤمنون (٢٧).

﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١).

وَهَكَذَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ مِّمَّنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ نَسْلاً وَلَا عَقَباً سِوَىٰ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَكُلُّ الْبَشَرِ الْيَوْمَ مِنْ سَائِرِ أَجْنَاسِ بَنِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يُنْسَبُونَ إِلَىٰ أَوْلَادِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الثَّلَاثَةِ. وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَىٰ أَنَّ مُنْكَرَ حَدُوثِ الطُّوفَانِ، كَافِرٌ زَنْدِيقٌ فَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْأَدْيَانِ جَمِيعاً، مَعَ مَا تَنَاقَلَهُ النَّاسُ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ عَلَى الطُّوفَانِ، وَأَنَّهُ عَمَّ جَمِيعَ الْبُلْدَانِ.

الْعَبْدُ الشَّكُورُ

هَذَا وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَىٰ نُوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِالْعَبْدِ الشَّكُورِ إِذْ قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّكُمْ كَانَتْ عِبَادًا شَكُورًا﴾ (٢).

فَقَدْ كَانَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيَشْكُرُهُ عَلَى طَعَامِهِ

(١) سورة هود الآية (٤٨).

(٢) سورة الإسراء الآية (٣).

وَشَرَابِهِ وَلِبَاسِهِ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي
الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ :

إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا أَوْ
يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا .

وَأَخِيرًا يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَذْكُرَ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ وَصِيَّةَ نُوحٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ لَابْنِهِ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ :

إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لَابْنِهِ :
إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ ، آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ :

آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ ، وَالْأَرْضَيْنِ
السَّبْعَ ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ ،
رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَيْنِ
السَّبْعَ كُنَّ حَلَقَةً مُبْهَمَةً ضَمَّتَهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ
وَبِحَمْدِهِ ، فَإِنَّ بِهَا صَلَاتِ كُلِّ شَيْءٍ وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ .

وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الشِّرْكُ
قَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا الْكِبَرُ . . . قَالَ : سَفَهُ الْحَقِّ وَغَمَطُ^(١) النَّاسِ .

(١) غمط الناس : استحقارهم .